شكر و تقدير

يتقدّم إتحاد الطلبة الأندونيسيين بتونس بالشكر والتقدير إلى السيد :

R. TAUFIQURROCHMAN

على مشاركته بإلقاء المحاضرة في الندوة الدولية "الدراسات الإسلامية والقضايا المعاصرة"

التي نظّمها إتحاد الطلبة الأندونيسيين بتونس بالتعاون مع رابطة الطلبة الوافدين – تونس

بتاريخ 14 أكتوبر 2015 بمقرّ إتحاد الطلبة الأندونيسيين بتونس

مع تمنيّاتنا بدوام التوفيق وباضطراد التقدّم

رابطة الطلبة الوافدين – تونس

رابطة الطلبة الوافدين
تونس

د. عكاشة خليفة

رئيس

إتحاد الطلبة الأندونيسيين بتونس

PERSATUAN PELAJAR INDONESIA
PPI
TUNISIA
اتحاد الطلبة الأندونيسيين

معمّر قذافي

رئيس

تونس وإندونيسيا: نقاط موحدة

د. راض توفيق الرحمن

مقالة مقدمة في الندوة الدولية "الدراسات الإسلامية والقضايا المعاصرة" التي نظمها إتحاد الطلبة الأندونيسيين بتونس بالتعاون مع رابطة الطلبة الوافدين – تونس بتاريخ 14 أكتوبر 2015 بمقر إتحاد الطلبة الأندونيسيين بتونس

حينما تتعدد الثقافات الإسلامية، فعلى قدر الإمكان أن بين المسلمين في مختلف البلدان أشياء مختلفة، كما أن عندهم أيضا أشياء متوافقة. فمعلوم بالضرورة أن وجود الاختلافات الثقافية بينهم لكثير جدا حيث لا يكون الهدف في بحثها إلا تقديم المميزات والخصوصيات كي تتبين الهوية لكل منها، وأما القيام بالبحث في ما يوافق البعض عن بعض من الثقافات فيكون الهدف منه أسمى وأفضل لإحضار المعلومات على السفراء والرجال الدبلوماسيين والسياح والرحال والطلبة وغيرهم، كما أنه يقوّي سيكولوجية العلاقة الدبلوماسية بين البلدَين أو أكثر.

يرتكز هذا البحث على شعبي تونس وإندونيسيا كنموذج لدرسة الثقافة الإسلامية في هذا الشأن، نظرا إلى تميّز طينة جلدة شعبهما: عربية وإندونيسية (أعجمية). علما أن تونس تدخل في ضمن الدول العربية وتقع في قارة إفريقيا، بينما إندونيسيا فهي الدولة المسلمة غير العربية وتقع في جنوب شرق آسيا، والمسافة بينهما بعيدة جدا حيث يستغرق الوقت بالطائرة حوالى ست عشرة ساعة. ويتضح من هنا أن من الضروري أن يكون بينهما اختلافات ثقافية عديدة، حيث ليس بعجيب أن يبحث في هذه الاختلافات. ولكن من وجهة أخرى يتيقن أن من صميم هذه الاختلافات مظاهر ثقافية مشتركة بينهما؛ حيث من خلالها تنبني العلاقة الأخوية الحميمة والصداقة المضافة وتبادل المعارف نحو أفضل. ومن هذا المنطلق تتميز دراسة الثقافة الدينية لمسلمي تونس وإندونيسيا.

اعتبارا كالمنطلق المعرفي، لابد من تقديم النقاط الموحدة بين تونيس وإندونيسيا، وهي: أن أكثر سكانهما مسلمون ولا يسمحون الإلحادية، وهم أسلموا عبر مواعظ الدعاة المهاجرين، ولا يأتي إليهم أي نبي أو رسول. كما أن لديهم التاريخ المشترك في عهد الاستعمار، ألا وهو أنهم كانوا يستعمرهم الأوروبيون؛ حيث كانت إندونيسيا تحت استعمار الهولندا واستقلت منها تاريخ 17 أغسطس 1945 من الميلاد المسيحي، بينما تونيس تحت سيطرة الفرنسى واستقلت منها تاريخ 20 مارس 1956 ملادية،[1] كلهم يذمّ ويكره أفعال المستعمرين على أبناء جلدتهم. ومن دون إغفال أن لديهم تاريخ إسقاط رئيس الدولة بالمظاهرات الشعبية؛ أما الجماهير الإندونيسيون فكانوا يسقطون الرئيس سوهارتا في تاريخ 18 مايو 1998 من الميلاد المسيحي، وبينما التونسيون فقاموا

[1] انظر الى: مختصر تاريخ البلاد التونسية، لعبد العزيز بن حمد الحسن، (تونس: دار الفاتحين، 2013 م).

بالمظاهرات من أجل إسقاط رئيسهم زين العابدين بن علي في تاريخ 14 يناير 2011 ملادية،[2] فالثورة عندهم تحدث من أيدي الشباب التي تلمس مشاكل اقتصادية ومتطلبات الحياة لدى مجتمعهم. وسوى ذلك أنهم يفتخرون بالمسجد الأكبر للدولة؛ ففي إندونيسيا المسلمون يعجبهم مسجد "الاستقلال" بمدينة جاكرتا العاصمة وأما تونيسيون فيجلّون المسجد الأكبر المسمى بجامع سيدي عقبة بن نافع بمدينة قيروان.[3] فهم يعتقدون أن المسجد هو رمز الحياة الدينية لدى مجتمع ما؛ من يريد أن يعرف مدى تديّن الشعب فانظر إلى إحساسهم بالمسجد.

بناء على ذلك، فلا يستحيل أن يكون هناك نقاط موحدة أخرى تتعلق بالثقافة الدينية التي يعيش بها الشعب ويكررونها ثم يورثونها إلى أبناءهم. مع بيان أن هذه النقاط تكون موحّدة بسبب أن كلا منهم يستضيء بهداية الدين، في حين أنهم أيضا يهوون بالعمليات الثقافية، فنظرتهم إلى الدين هي نظرة التوافق دون التصادم.

المشتركات في تديّن تونس وإندونيسيا

كما هو معلوم أن الاجتماع الإنساني ضروري في هاته الأرض لقضاء متطلبات حياته. ويكون هذا الاجتماع مسبّبا لميدان تواصل وحوار يتجلى فيه الموافقات - الاختلافات والمساعدات - الصراعات، كما تنشأ من خلاله التديّنات والعوائد وآداب المخالطة والشعائر والأخلاق، وكل ما جاز تحت لفظ ثقافة دينية يتحدث عنها هذا البحث. فهنا بيان عوائد مشتركة لدى مسلمي تونس وإندونيسيا:

الأول: طقوسهم في مراحل العبور

تعتبر طقوس العبور صنفا مخصصا من الطقوس الدينية، فهي رغم اختلافها عن طقوس التعبّد لا تخرج عن السياق الديني لحضور النصوص الدينية الدالة على مشروعيتها، في حين أنها أيضا تتحمل السياق الثقافي إذ يضمن فيه التكرار والفعالية والآثار الاجتماعية والنفسية. وباعتبارها كنموذجية فقط يرتكزها البحث على ثلاث طقوسات ، وهي:

أ- العقيقة

---

[2] من أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع كتاب الثورة التونسية، للأزهر الماجي، (تونس: المغاربية للطباعة، 2011 م)، ط. 1.

[3] كالنموذج المثالي لهذا الموضوع: كان أحد أبناء قيروان المسمى بـ "ابن رشيق" ينشد أبيات شعرية لتعبير محبته وإحساسه بما حدث على جامع سيدي عقبة بن نافع، وهي:

كم كان فيها من كرام سادة بيض الوجوه شوامخ الإيمان
متعاونين على الديانة والتقى لله في الإسرار والإعلان
والمسجد المعمور جامع عقبة خرب المعاطي مظلم الأركان
قفر فما تغشاه بعد جماعة لصلاة خمس لا ولا لأذان

راجع إلى كتاب القيروان بأقلام الشعراء، لمحمد البدوي، (تونس: دار لابريس، 2009 م)، ط. 1، ص. 13

لم يرد ذكر "العقيقة" في القرءان، إلا أنه ورد في الحديث النبوي "مع الغلام عقيقة، فأهرقوا عنه دما، وأميطوا عنه الأذى"،[4] وفي رواية أخرى "سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: عن الغلام شاتان وعن الأنثى واحدة ولا يضرّكم ذكرانا كن أم إناثا"،[5] كذلك تبين من السنة الفعلية أنه ﷺ عقّ عن سبطه الحسن رضي الله عنه بشاة فقال: "يا فاطمة، احلقي رأسه وتصدَّقي بزينة شعره فضةً".[6] مع العلم أن العرب في الجاهلية كانوا "إذا ذُبحت العقيقةُ أُخذت منها صُوفةٌ واستُقبِلت بها أوداجُها ثم تُوضع على يافُوخِ الصبي ليَسيل على رأسه مثلُ الخيط ثم يُغسل رأسُه بعدُ ويُحلَق".[7] فأبقى الإسلام على فعل الذبح وتحليق الشعر وأبطل طقس التلطيح بالدم.

فمن عوائد أهل تونس في العقيقة أن "يُذبح عند سابع الولادة شاة من الغنم أو الماعز أو البقر أو الإبل.... ولا يمس الصبي بشيء من دمها، ويؤكل منها، ويتصدق، ويكره أن يجعل الوليمة، وإن حُلق شعر رأسه بخلوق وهو شيء من الطيب أو الزعفران".[8] وكذلك، في عادة أهل إندونيسيا أن تُذبح الشاة عقيقة عن المولود في اليوم السابع من الولادة، وتُتصدق لحومها، إن اقتضت الحالة الاقتصادية. وإن لم تكن هناك الكفاءة المالية فالأب فقط يدعو الجيران إلى مائدة متواضعة فيها حلويات وأطعمة خفيفة ثم يُحلق شعر الصبي مقرونا بدعاءهم وصلواتهم على النبي ﷺ جماعة.[9] وعندما يكفي المال لأداء العقيقة فلا بأس من عمل العقيقة له وإن كان الصبي يكبر أو يبلغ، وذلك يعتمد على فتوى الفقيه في المذهب الشافعي تقي الدين الحصني (م 829 ه) بأن العقيقة "بعد السابع تكون قضاء، والمختار أن لا يتجاوز بها النفاس، فإن تجاوزته فيختار أن لا يتجاوز الرضاع، فإن تجاوز فيختار أن لا يتجاوز بها سبع سنين، فإن تجاوزها فيختار أن لا يتجاوز بها البلوغ، فإن تجاوزه سقطت عن غيره وهو المخيّر في العق عن نفسه في الكبر".[10] من هنا يستنتج أن المذهب الشافعي الذي يتدين به جل المسلمين في إندونيسيا يسمح لهم سعة الفرصة، فتكون هذه العقيقة إذن ليست كواجبة شرعية وثقافية، بل إنها أمر يستحسن فعلها حسب الظروف من دون تكلُّف شديد.

---

[4] البخاري، صحيح البخاري، باب: إماطة الأذي عن الصبي في العقيقة، ج. 7، ص. 84

[5] محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب: الأذان في أذن المولود، تحقيق: أحمد محمد شاكر وأخوته، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395ه)، ج. 4، ص. 98

[6] الترمذي، سنن الترمذي، باب: العقيقة بشاة، ج. 4، ص. 99

[7] ابوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن ابي داود، باب: في العقيقة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، دة)، ج. 3، ص. 106

[8] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، (تونس: سراس للنشر، 1994 م)، ص. 40

[9] انظر إلى هذا الموقع الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=o3oAWvYlKvY

[10] تقي الدين الحصني الحسيني الشافعي، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي، (دمشق: دار الخير، 1994 م)، ص. 534

ب-الختان

سكت القرءان عن ظاهرة الختان على عكس الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قصّ أن إبراهيم أبا الديانات السموية اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدّوم،[11] حيث اعتبره من الفطرة الإنسانية، وهي في خمس: قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط والاستحداد والختان.[12] وهي عملية يتم فيها "قطع الجلدة التي تغطي الحشفة" بالنسبة لختان الذكر، وأما الإناث فـ"ختانها قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كانّوَاة أو كعُرْف الدِّيك".[13] ولا شك أن الختان من السنة التي جاءت بها الشريعة المطهرة، وأما زمن الختان فلم تقرره لفظيا حيث يعتبر ذلك اجتهاديا يمكن أن يتدخل فيه أي عرف كان لدى مجتمع مسلم ما.

ففي عرف أهل تونس أن الختان "يكون في السنة الرابعة أو الخامسة في الغالب وقد يكون في الأولى أو في التاسعة"، من دون إغفال أنهم يكرهون أن يُختن أولادهم "في يوم ولادته أو يوم سابعه"، وذلك لأنهم اعتبروا الختان في تلك الأيام من فعل اليهود حيث يلزمون أنفسهم مخالفتهم.[14] مع العلم أن هذه المخالفة فلا تكون إلا من أجل توضيح الناس مفارقتهم على شريعة اليهود وعدم رضاهم على عنادهم وإنكارهم على نبوة محمد ﷺ وما جاء به، فهذا موافق لإرشاد النبي ﷺ قائلا: "خالفوا اليهود".[15] فلا شك أن اليهود من مكونات الجمهورية التونيسية؛ وهم يعيشون مع المسلمين بسلام ووئام وحرية تامة، وخير دليل على ذلك أنهم يُسمح لهم بناية معابدهم وتنسيق طقوسهم،كما يوجد في جزيرة جربة (Ghirba) في جنوب شرق تونس أن اليهود من أنحاء العالم يأتون إلى هذه البقعة كي يجتمعوا فيها ثم يؤدوا طقوساتهم الدينية ويسمعوا نصائح مشايخهم مثل حجة المسلمين في مكة.[16] وعلى هذه القضية توجد أهمية المخالفة لوضع الحدود الواضحة بينهم والابتعاد عن التشابه بهم.

بينما ختان النساء فليس من عوائد أهل تونس، بل هو من عوائد المصريين وأثّر بهم أهل تونس حيث يعتبر فقهاؤهم أنه كرامة للنساء لأنه يطيّب الجماع للزوج.[17] لعل هذا التعليل يستدل من رواية الصحابي الجليل الضحاك بن قيس رضي الله عنه أنه قال: كانت بالمدينة امرأة

---

[11] البخاري، صحيح البخاري، باب: قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا، ج. 4، ص. 140

[12] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، باب: خصال الفطرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، دة)، ج. 1، ص. 221

[13] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي واخوته، (بيروت: دار المعرفة، 1379 ه)، ج. 10، ص. 340

[14] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 67

[15] ابو داود، سنن ابي داود، باب: الصلاة في النعل، ج. 1، ص. 176

[16] انظر إلى هذا الموقع الإلكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=u3lLzwgx_XE

[17] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 67

تخفض النساء يقال لها أم عطية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج".[18] ولا بد من الإشارة إلى أن قضية ختان النساء لم تزل في ميدان الخلاف بين المسلمين نظريا وتطبيقيا، حيث يمكن التوجيه على أن الاعتماد على موافقة الفقهاء والعرف هو أسلم.

والجدير بالذكر هنا هو عُرفهم في إشهار الختان، بأن يُجعل الطعام الكبير المسمى عندهم بـ "الطعمان" ويُستدعى له الناس بدون تمييز، ويُحضرون لهم حلويات ومشروبات وفواكه كالمرافق لتلك المائدة الكبيرة، ويقول كبيرهم "أيها السادة تفضلوا على بركة الله"، فينهض الضيوف جميعا متوجهين إلى بيت الطعام ويجلسون حول تلك المائدة. ثم تُقرأ فاتحة الكتاب حيث يبتدئ بقرائتها من بدأ بالأكل، ويتمتعون بتلك الأطعمة والمشروبات والفواكه وغيرها. وبعد أن خرجوا من بيت الطعام هم يهنّؤون ربّ الطعام بقولهم "يدوم فرحُك"، وهكذا طائفة بعد طائفة الى انفضاض الموكب.[19] وفي أثناء ذلك الاحتفال تُصدح الموسقى العربية بأنغامها الشهية الى مسامعهم، أو تكون بدلها جماعة البردة والطرق الصوفية ينشدون قصيدة البردة للإمام البوصيري أو القصائد البليغة في حق الحضرة النبوية، وبعض أمداح في حق القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني، على أسلوب موزون وطبوع منوعة وتلاحين عجيبة عن نقر الطار والنغرات.[20] بينما هم كذلك فالطفل الذي سيختن أو يسميه أهل تونس بـ "المطهّر" يلبس أفخر ثيابه على حسب رفاهية والده، ويذهب مع معلِّمه وسائر إخوته إلى زيارة ضريح الشيخ الصوفي المقدَّس عند أهل بلده، وفي أثناء الذهاب والإياب هم ينشدون بعضا من الأراجيز في مدخ خير البرية صلى الله عليه وسلم.[21] فهذا العمل رائع متميز.

بينما أهل إندونيسيا كانوا قد عرفوا الختان منذ قديم أي قبل مجيء الإسلام، حيث روي في كروبوك رقم 406 قصة براهياعان في عهد مملكة باجاجاران في جاوى الغربية مقال "Sembelihan niat inya bresih wasah, disunat ka tukangnya jati sunda teka"[22] معناه يُختن الشخص لحفظ النفس عن القذرات والنجاسات ويكون (الذكر) مطهرا عند مسحه بالماء، والختان لا بد أن يقوم به الرجل العالم المتأهل في هذا المجال، هذا هو هويتنا الثقافية. وأما ختان النساء فيكون عند طفولتها، وهذا الأمر مختلَف فيه لدى الشعب الإندونيسي، ولكن أكثرهم

---

[18] الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، باب: ذكر الضحاك بن قيس الأكبر، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411 ه)، ج. 3، ص. 603

[19] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 68-69

[20] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 69

[21] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 70

[22] ريستياني مشرفة، ختان النساء بين الثقافي والديني (Khitan Perempuan Antara Tradisi dan Ajaran Agama)، (جوكجاكرتا – إندونيسيا: مركز دراسة القضايا التربوية والحكومية جامعة جاجاة مادا بالتعاون مع شركة فوند فوداتسين الأمريكية، 2003 م)، ص. 27

يفعل ذلك.[23] كما أنهم ثقافيا لا يعيّنون متى يصلح للطفل أن يُختن، والذي يهمهم أن يكون الختان قبل البلوغ.[24]

من عوائد أهل إندونيسيا إشهار الختان بعدة عمليات ثقافية، مثل أن يلبس الطفل ثيابا تقليديا أو مختلطا بين تقليدي وعربي، ثم يركب على الحصان، ويتجول أمام الناس ويطوف حول القرية، ذلك من أجل الحصول على بركة الدعاء منهم. ويُحضر أبواه المائدات الكبيرة التي فيها حلويات متنوعة وأطعمة تقليدية ومشروبات مختلفة وغيرها للضيوف المدعوين، ثم هم يستقبلون قدوم الطفل من ذلك التجول، فيعطونه الدعاء والفلوس والهدايا حبّا وتفريحا له. وبعد صلاة العشاء قد يُتلى القرءان كله حفظا أمام المدعووين، أو قد تُقدّم إلى مسامعهم المواعظ الدينية من لدن الشيخ العالم الفقيه في الدين مقرونة بإنشاد المدئح النبوية وقراءة الصلوات على النبي ﷺ جماعة، أو قد تُعرض القصص القديمة ذات التعاليم الأخلاقية الرقية بالدُّمى من لدن القصّاصين، أو قد تصدح الموسيقى الملايووية، وذلك حسب رغبة أبوي الطفل واستطاعتهما الاقتصادية. وهذه البرامج كلها مختتمة بالدعاء الجماعي الذي يرأسه شيخ القرية. ففي الصباح يُختن الطفل.[25] فنقطة الالتقاء بين أهل تونس وإندونيسية هي تفريح الطفل في يوم ختانه وإحضار الغداء الروحي بجانب الغداء الجسدي في هذا الشأن.

ت-وليمة العرس

الوليمة في اللغة ، مأخوذة من الولم ، وهو تمام الشيء واجتماعه ، ثم أصبحت تطلق على العرف على كل طعام لسرور حادث. ولكن الأشهر استعمالها عند الإطلاق في النكاح وتقيد في غيره فيقال وليمة الختان ونحو ذلك، ولا تطلق في غير طعام العرس. فإذا أطلقت الوليمة فالغالب أن المراد بها ذلك. سميت بذلك تفاؤلاً باجتماع الزوجين وتمام أمرهم، ولأجل اجتماع الناس من الأقارب والجيران ونحوهم.

لقد ورد مجموعة من الأحاديث النبوية على مشروعيتها، منها أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها وأولم عليها بحيس،[26] وأمر ﷺ أن يتبع ذلك كما ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "أولم ولو بشاة".[27] وعلى هذا، فالوليمة سنة مؤكدة. ولا يشترط في الوليمة إراقة دم الحيون، كما لا يشرط تقديم اللحم، بل يمكن تقديمها مما تيسّر من

---

[23] ريستياني مشرفة، ختان النساء بين الثقافي والديني (Khitan Perempuan Antara Tradisi dan Ajaran Agama)، ص. 27

[24] انظر إلى هذا الموقع الإلكتروني:

http://ridwanaz.com/kesehatan/mengenal-khitan-dan-sejarahnya/

[25] انظر إلى هذا الموقع الإلكتروني:

http://tafsirhadits2012.blogspot.com/2013/05/interelasi-nilai-budaya-jawa-dan-islam.html

[26] البخاري، صحيح البخاري، باب: الوليمة ولو بشاة، ج. 7، ص. 24

[27] البخاري، صحيح البخاري، باب: الوليمة ولو بشاة، ج. 7، ص. 24

الطعام. وحالة المولم من اليسر والإعسار تحدد ماهية الوليمة. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: فدعوت المسلمين إلى الوليمة، ما كان فيها من خبز ولا لحم وما كان فيها إلا أن أُمر بالأنْطاع، فبسطت فألقى عليها التمر والأقِط والسمْن.[28]

أما إجابة الدعوة للوليمة فواجب قطعا لقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها،"[29] في هنا تشترك المجموعة في سلوك اجتماعي محدد يقوي الروابط بين الأفراد و"يترافق تقنين الطقس وتنظيمه في أطر محددة ثابتة مع تنظيم التجربة الدينية وضبطها في معتقدات واضحة يؤمن بها الجميع (ويعبّرون من خلالها) عن تجاربهم الفردية الخاصة وبذلك يتحول الطقس من أداء فردي حر إلى أداء جمعي ذي قواعد وأصول مرسومة بدقة".[30]

ذلك لأن الوليمة عبارة عن مناسبات دينية وثقافية-اجتماعية في آن واحد. وهذا ما يجعلها مناسبة مهمة بالنسبة إلى الأحكام الطقوسية، في حين أنها ترتبط بإرساء التحالفات الزواجية، وهي نظام اجتماعي متكامل تتجلى في إطاره كثيرٌ من العلاقات والمعاملات الاجتماعية المهمة. ولا يُرى ذلك إلا من خلال نظرة أنه من عجائب رائعة يغترب بها قلب إنساني.

ففي تونس تقام وليمة خفيفة قبل ليلة العرس بيوم؛ وفيها الحلويات الخفيفة والمشروبات على مائدة مستطيلة كبيرة في إحدى البيوت المتسعة، حولها كراسي، ويدعى إليها الأقرباء والجيران. كما يُقدّم لهم "عشاء بعد منتصف النهار محتو على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات حسب الرفاهية على مائدة واحدة"، ثم يتمتّع بذلك الضيوف.[31] وكذلك، يتعود أهل إندونيسيا بما يسمى بوليمة "ميدوداريني" (Midodareni)، يعني وليمة متواضعة يجتمع فيها الجيران والأسرة القريبة في الليلة التي تكون قبل نهار وليمة العرس، وهم يدعون الله تعالى للعريس والعروس وينصحونهما نصيحة أبوية، ويُحضِر لهم صاحب البيت الأطعمة التقليدية ثم يتعشّون جماعة، وفي الأخير يوزّع لهم الصنادق الغذائية لعائلتهم في بيوتهم. مع العلم أن اسم "ميدوداريني" هو عبارة عن حالة المرأة التي ستتزوج في نهارها تكون جماليتها تشبه الحور العين وهي مضيئة كالنجوم في تلك الليلة، وأما الحور العين باللغة الإندونيسية فيقال "بيدادارى" (Bidadari) ويصير "ميدوداريني" لكون المرأة مُتطيَّبة ومتزيَّنة ومُتجمَّلة من لدن الأمهات العائلية وهي تتطلب حينذاك الدعاء والبركة من الجيران والأقرباء.[32]

---

[28] البخاري، صحيح البخاري، باب: البناء في السفر، ج. 7، ص. 21

[29] البخاري، صحيح البخاري، باب: الوليمة ولو بشاة، ج. 7، ص. 24

[30] فراس السواح، دين الإنسان؛ بحث في ماهية الدين ومنشاء الدافع الديني، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2002 م)، ط. 2، ص. 53

[31] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 359

[32] انظر الى هذا الموقع الإلكتروني:

http://tafsirhadits2012.blogspot.com/2013/05/interelasi-nilai-budaya-jawa-dan-islam.html

كما أن في تونس تقام وليمة في العرس يحضر فيها أناس كثيرون و"تقدم قصع الكسكسي"[33] وسائر اللحوم والحلويات والمشروبات على جملة ضخمة في مائدة كبيرة. ثم تعلن النسوة بالولولة. فيكون بعد ذلك أنهم "يبقون بين غناء سرور والغناء من الغنّائين"؛ ف "الرجال تمدّهم بالمال شيئا فشيئا"، بينما النساء فهن "ضاربات خمورهن على وجوههن، وهن منصتان، وتارة يغنّين والرجال يسمعون".[34] والعجيب في ذلك أن "أهل الحاضرة يحضرون أهل الموسيقى في ليلة العرس عند الوليمة وتحضر معهم عاهرات مغنيات".[35] وعلى هذا العرف تقام الوليمة بسرور وفرح لدى أهل تونس. فمرة أخرى لا بد أن يُنظر ذلك كعجائب رائعة لدى الإنسان المثقف.

أما لدى أهل إندونيسيا فهناك كثير من الأشكال المتنوعة لدى وليمتهم، نظرا إلى تعدد ثقافاتهم. ولكن الذي لا بد من حضوره في الوليمة موائد كبيرة فيها أطعمة متنوعة ومشربات عديدة، تقليدية كانت حديثية، ويتمتعها الضيوف بعد مصافحة العريس والعروس والدعاء لهما وتسليم الهدايا أو النقود. علما أن قبل الأكل هناك برنامج الموعظة الحسنة من لدن الفقيه الشيخ في الدين أو ما يسمى هذا البرنامج بـ "وصية النكاح" (Wasiat Pernikahan). وللمزيد من تذوق الأطعمة والمشروبات المعدة من لدن صاحب البيت يُقدّم إلى مسامع المدعوين الأناشيد الإسلامية والمدائح النبوية المقرونة بالموسيقى أو الأغنية التقليدية المحترمة. فهذه الأمور لن تكون إلا من أجل إعلان النكاح وإظهار السرور والفرح، ومن هنا تظهر نقطة الالتقاء بمضمون الثقافة التونسية.

الثاني: احتفالهم باستهلال السنة الهجرية

لا شك أن ليلة رأس السنة الهجرية تقترن بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى مدينة، بعد أن اشتد عليه أذى وفتنة وتهميش قريش. وقد أمر أمره الله تعالى بالالتحاق إلى يثرب (اسم "المدينة" قبل مجيء الرسول ﷺ) في الليلة التي اجتمع قريش على قتله وتفريق دمه في القبائل، بعد أن جمعوا من كل قبيلة شابّا ودبّروا قتله. سار الرسول ﷺ مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه على راحلتين قاصدين يثرب، حيث تهيّأ أهلها لاستقباله وقد عمّهم البِشر والسرور بسبب قدومه. وبذل فيها الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم جهودهم لبناء الحضارة الإنسانية على نهج التعاليم السماوية، حيث بعد الهجرة قد استقام أمرُ الإسلام وأدبَر الشرك ونجا الرسول صلى الله عليه وسلم من بوائق كفار مكة، وتولت له بعدها الفتوح، فسارت الهجرة للرسول ﷺ كالقيام للملوك وصفاء الملك لهم. وبناء على هذا الدليل وضع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب

[33] الطعام التقليدي الخاص شبه المقدس لدى أهل التونس، ويقدم عادة عند العمليات الطقوسية والدينية وإكرام الضيوف.
[34] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 361
[35] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 361

رضي الله عنه للناس تاريخا يتعاملون عليه. فاشتهر بعد ذلك الاحتفال بذكرى هجرة الرسول ﷺ أو باستهلال السنة الهجرية.

بينما من عوائد أهل تونس أن ليلة رأس السنة الهجرية "يجعلون فيه طعام الكسكسي بالقديد ورأس الخروف المملّح، والفول، وتسمى هذه الليلة ليلة العجوزة والعجوز، وينفق فيها العيال، ويضرب الأمير السكّة باسمه مؤرخة بالعام الجديد، ويوزع جانب منها على الأعيان ورجال الدولة، ويُهنَّأ أمير البلد بالقصائد لدخول العام الجديد المبارك".[36] ففي هذا اليوم الأول للعام الجديد تعطّل المدارس والإدارات والشركات تمجيدا وتبجيلا للسنة الهجرية التي هي عنوان على دخول العرب والمسلمين في طور جديد ألا وهو طور ازدهار الحضارة وتطور العلوم والتكنولوجيا.[37]

أضاف إلى تلك المعلومة المؤرخ التونيسي محمد بن الخوجة قائلا: إن الملوك كما جرى في عادتهم "أن يفتتحوا العام الجديد بمظاهر البِشر والتفاؤل بالخير، فيجعلون أحكامهم وأوامرهم ونواهيهم قاصرة يوم رأس العام على ما فيه البشرى والسرور كالولايات الدينية والتوقيع بالعفو والصفح الجميل عن المجرمين".[38] وأما صبيانهم فهم مفرَّحون في هذا اليوم "بشراء البرتقال والليم والأرنج وأنواع الرياحين"،[39] وذلك بإعطائهم المبلغ المناسب من لدن الأباء والأمهات والأجداد وغيرهم.

أما أهل إندونيسيا فهم يجتمعون في المساجد أو المصليات لقراءة ما تيسّر من القرءان العظيم والصلوات على النبي ﷺ والتهليل والاستغفار والدعاء جماعة، ثم يتعشّون معا. ولا يقتصر هذا العمل على النخبة الترابية، بل يعمل بذلك الحكام والسياسيون والإداريون وطلبة العلم وغيرهم. وهذا الأمر مجمع عليه. ففي النهار عطلة جماعية قرّرتها الحكومة، كما أنها تعطي أيضا العفو للمجرمين الذين يتخلّقوا بالأخلاق الحسنة داخل السجن. ومن العوائد المهمة أنهم يرسلون التهنيئات والتمنيات إلى أصدقائهم وإخوتهم قائلين "Selamat Tahun Baru Hijriyah " طيلة الأسبوع الأول من السنة الجديدة. وأما الأطفال فهم مسرورون جدا لأن أبويهم يدعوانهم إلى السياحة والتنزه ليتفرجوا المناظر الطبيعية الجميلة أو حديقة الحيوانات، ولايعطيانهم الفلوس أو الهدية في تلك المناسبة. فالنقطة الموحدة بين تونس وإندونيسيا هي نشر البشرى والفرح فيما بينهم والحكومة مع رعيتها يحتفلون بهذه المناسبة ويتفاءلون بالخير للجميع.

الثالث: احتفالهم بشهر رمضان

---

[36] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 198-199

[37] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، (تونس: مطبعة أسود على أبيض، 1997م)، ص. 13

[38] محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، (تونس: دار الغرب الإسلامي، 1986م)، ص. 36

[39] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 199

يأتي رمضان في الشهر التاسع في التقويم الهجري، وهو شهر عظيم مميز عند المسلمين عن باقي شهور السنة الهجرية. إن الله تعالى أنزل فيه القرءان، وفرض على عباده الصوم، وقرر ليلة القدر هدية وتبجيلا للمخلصين منهم. لقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: أتاكم شهر رمضان خيرا وبركة، تغشاكم فيه الرحمة والبركة، وحينما دخل رمضان قال: مرحبا بالمطهِّر، وقالوا: يا رسول الله وما المطهر؟ قال: مطهر من الذنوب والخطايا. مع العلم أن لهذا الشهر المبارك تعاليم وأخلاق لا بد من ملازمتها ليلا ونهارا للحصول على رضا الله تعالى وغفرانه ورحمته، فكتب الترغيب والترهيب والفقه تشير إلى هذه التعاليم.

هنا بيان عوائد أهل التونس في رمضان، منها: أنهم يكثرون أنواع الطعام والحلويات فيه، وكل يدعو أحباءه للعشاء عنده، ويسرجون فيه المساجد والمنائر ليلا، ويصلون التراويح جماعة.[40] مع العلم أنهم يجرون بين كل تسبيحة وأخرى – والتسبيحة هنا عبارة عن تسليمتين في أربع ركعات- من صلاة التراويح بعضَ ترنمات قصيرة يقوم بها جماعة القراء في محافل الجوامع، وهي عبارة عن مقاطع من قصائد يخدمونها بنغمات شجية.[41]

وهكذا، أهل إندونيسيا في رمضان يستهلكون أموالهم لشراء الأطعمة والمشروبات أكثر من باقي الشهور. وفي البيوت والمدارس والمساجد والمكاتب والإدارات الحكومية يُعدّ برنامج الإفطار الجماعي بالطعام الكبير، أو ما يسمى باللغة الإندونيسية " Buka Puasa Bersama"؛ على الأقل مرة واحدة بالنسبة للبيوت، وأما غيرها فهناك الإفطار الجماعي مرارا وتكرارا. أما صلاة التراويح في المساجد والمصليات فبعضهم يصلي ثماني ركعات جماعة بينما الأخر يصلي عشرين ركعة جماعة، ولكل تسليم قراءة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع الدعاء. ويُعمّر المساجد والمصليات بقراءة القرءان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما المدارس فتنسق برنامج المسابقات الدينية مثل: مسابقة حفظ القرءان، ومسابقة حفظ الأسماء الحسنى وأسماء الملائكة والمرسلين لتلامذة المستوى الروضي، ومسابقة قراءة وترجمة كتب التفسير أو الفقه وغيرها.

نقل أحمد الطويلي عن الصادق الرزقي في كتابه الأغاني التونسية أنه حكى أن ليالي شهر رمضان كلها عبارة عن مواسم تونس الشرعية والوطنية، بحيث تقع فيها اختفالات عديدة، وعلى وجه الخصوص ليلة النصف وليلة السابع والعشرين من رمضان اللتين قررهما علماء تونس رسميا كليلة القدر.[42] ومعلوم أن عادة الناس في رمضان هي السهَر طيلة الليل. ولكن لا بد من الإشارة إلى "أن الكثير يشتغل بالملاهي كسماع آلات الطرب في القهاوى أو لعب الورق المسمى

---

[40] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 355

[41] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 59-60

[42] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 59

بالكارطة وهي الكثير"،[43] وعندهم أنواع مختلفة أشهرها ما يسمى بـ "التريسيتي"، أو لعب النرد أو الشطرنج، وهم يفعلون ذلك لاستغراق جميع الليل في رمضان بحيث لا يشتغلون إلا قرب نصف النهار.[44]

وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين"،[45] فلم يزل الناس مُنقسَمين إلى قسمين: أهل "اليمين" وأهل "اليسار". ففي إندونيسيا أهل اليمين يتسابقون في ختم القرءان وإكثار الختمة وغيرها من صالحة الأعمال. وأما أهل اليسار فينجزون لياليهم بالملاهي والألعاب الإلكترونية والتجوالات بالدرجة النارية الحديثية في منتصف الليل، وأكثرهم المراهقون والشباب. فالنقطة المهمة مفادها أن الوقائع في تونس وإندونيسيا متساوية؛ حيث تسوق مفهوم أن تصفيد الشياطين على حقيقته ولا يلزم من تصفيدهم أن لا يقع شر ولا معصية، لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كانفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية.

بينما من عادات السحور عندهم الدعوة إليه، حيث هناك من يوقظ الناس لتناول السحور، وهو يدور على البيوت قبل الفجر بساعتين وبيده طبلة يضرب عليها ويتغنّى بأقوال مختلفة، فينتبه أصحاب البيوت.[46] ومن يعمل ذلك يسمى بالمسحِّر ويعطيه كل شخص ما ناسب من المال أو الحلويات.[47] وفي مثل هذه العادة موجود في إندونيسيا، حيث يكون المسحِّر يضرب الآلة التقليدية المسماة بـ" Kenthongan " (المصونوعة من شجرة الخيزران المجوفة). مع العلم أن المسحر ليس بواحد، وإنما هم جماعة من الشباب، وذلك بالمجان. بل في بعض الأحيان هناك المسحرون الذين ينسقون برنامج " Sahur Bersama " (أكل السحور الجماعي).

أما في مجال التعليم الديني فهناك بعض التونسيين يعتني بختم كتب الحديث منها رواية ومنها دراية في جوامع البلد ومساجده ومدارسه، وأحيانا يحضر الوالي (محافظ الولاية) بنفسه تبرّكا بالحديث الشريف.[48] كذلك هناك من يسرد بعد صلاة التراويح كتابا في السيرة النبوية، وبينما الآخرون يسمعون ذلك.[49] وكما هو معروف أن لتونس مدينتين علميتين مشهورتين، هما: مدينة "قيروان" حيث يقع فيها جامع سيدي عقبة بن نافع وسائر الكتاتيب حوله، ومدينة "تونس" حيث يقع فيها جامع الزيتونة وسائر معاهده الدينية. وقد شهد التاريخ أن من تعاليم مشايخهما

---

[43] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 59
[44] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 59
[45] مسلم، صحيح مسلم، باب: فضل شهر رمضان، ج. 2، ص. 758
[46] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 62
[47] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 62
[48] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 356
[49] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 59

خرج عدد كبير من العلماء والدعاة للعالم الإسلامي. فهاتان المدينتان محافِظتان لهذه العوائد العلمية وآثارها التاريخية لجيل قادم، حتى اليوم هذا.

أما أهل إندونيسيا في هذه المناسبة المباركة فينظّمون برامج دينية؛ منها تعليم علم التجويد لقراءة القرءان وتعليم الميسَّرات الفقهية للعوام وسماع المواعظ الحسنة من لدن الشيخ الفقيه وغيرها. من دون إغفال أن طلبة العلوم الشرعية في "الباسنترين" (شبه الكُتَّاب لدى العرب) يلتزمون في سماع الشيخ العلامة الذي يقرأ ويشرح عددا من كتب الأسلاف الصالحين في مختلف الفنون الإسلامية حتى يختمها ثم يجيزها إليهم بسنده المتصل إلى مؤلفيها. فهذه الثقافة العلمية لدى تونس وإندونيسيا تتطلب الاعتناء والحفاظ من لدن الحكومة على شكل أفضل.

الرابع: احتفالهم بعيد الفطر

سمّي العيد عيدا لعود والسرور والفرح والبهجة والانشراح والأنس فيه، كما أنه يعود كل عام بالمسرّات المتعددة والأفراح المتجدده والناس يعتادون ذلك.[50] وفي التاريخ أن للجاهلية يومين عظيمين، هما عيد النيروز وعيد المهرجان، ولما قدم النبي ﷺ إلى المدينة وجد أهل المدينة يحتفلون ويلعبون فيهما، فقال لهم: "إن الله تعالى قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر".[51] والعيد شعيرة من شعائر الإسلام الكبيرة، ويجب على المسلمين إحياؤه وإظهاره بما يتناسب مع مقاصده والحكمة من تشريعه.

يأتي عيد الفطر بعد الصيام الذي تزكو فيه النفوس من العيوب والآثام وتتطهر من شوائب المادة. وقد جُعل للمسلمين هذا العيد مجالا للراحة بعد النصب وللفرح بعد العمل، لذلك حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام يوم العيد حتى تأخذ النفس شيئا من الاستراحة. كما أنه مظهر من مظاهر الشكر لله تعالى؛ حيث يكبّره ويعظّمه ويمجّده ويحمّده كل لسان، ثم تقام صلاة عيد الفطر تقربا إليه تعالى وتؤدى زكاة الفطر طعمة للمساكين وصلة للأخوة الإسلامية. بناء على ذلك، لا يكون الشكر إلا أنه يتدخل في ضمن الفرح، وكذلك العكس. ولا يجوز الفصل بينهما.

من إظهار الفرح والسرور في العيد التزين ولبس الجديد، كما فعله النبي ﷺ ؛ روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: أخذ عمر رضي الله عنه جبةً من استبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله ﷺ: "إنّما هذه لباس من لا خلاق له".[52] أضف إلى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه

---

[50] قال ابن الأعرابي: "سمّي العيد عيدًا لأنّه يعود كلّ سنة بفرح مجدَّد"، نقله ابن المنظور (711 ه) في كتابه لسان العرب. انظر إلى : لسان العرب، لابن المنظور، فصل: العين المهملة، ج. 3، ص. 319

[51] ابو داود، سنن ابي داود، باب: صلاة العيدين، ج. 1، ص. 295

[52] البخاري، صحيح البخاري، باب: في العيدين والتجمل فيه، ج. 2، ص. 16

وسلم كان لا يخرج يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترا،[53] وفي رواية أخرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر هذا اليوم العظيم عيد الأكل والشرب قائلا: "الفطر يوم يفطر الناس".[54] والجدير بالذكر هنا أن عائشة زوجة النبي ﷺ تقول: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث – وفي رواية -: وليستا بمغنيتين، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه. ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دعهما – وفي رواية – فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا". فتدل هذه الروايات كلها على أن بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم تتخذ وتتكامل مع الطقس الديني المسمى بعيد الفطر.

بناء على ذلك كله، يستخلص أن العيد في الإسلام يجمع بين عادات كريمة جُبِل الإنسان عليها، وعبادات عظيمة تعبَّد الله تعالى بها المسلم في يوم العيد. من دون إغفال أن للأسلام تعاليم وقيما أخلاقية لأداء عيد الفطر، مثل عدم الإسراف والتبذير ومنع الاستهزاء على الآخر وغيرها.

على الخصوص أن أهل تونس يحضِرون في العيد الخبز الجيد المخلوط بالسمن والحلويات وسائر الأطعمة الخفيفة، ويتوسعون على العيال بأي شيء من المأكول، ويتصدقون فيه على كل نفس صاعا من بُرّ لأنه طعام الجميع، ثم يؤدون صلاة العيد في أول يوم منه. وأما المآكل الخاصة لعيد الفطر فهي "المروزة" وهي اللحم المطبوخ بالزبيب والقسطل، والأخر ما يسمى بـ "الطبيخ" وهو لحم في الزيت والأبزِرة.[55] وبمناسبة عيد الفطر يتزيّن التونسيون بالملابس الجديدة ويتزاورون فيما بينهم طيلة أربعة أيام، ويعدّون القهوة والحلويات للزائرين في دارهم. مع العلم أنهم يقدّمون التحية بالتقبيل في جميع المواكب، ويحق للتونسيين أن يتبادلوا التهاني بما نالوا من الله تعالى من الرضا والمغفرة. بينما صبيانهم فهم فارحون في العيد حيث يعطى لهم الأولياء والأقارب شيئا من الدنانير يقال له "المهبة" أو الهبة.[56] وهكذا، يخلق الناس أجواء من الفرح والسرور والبهجة في هذا اليوم المبارك.

وكذلك، يكون في إندونيسيا احتفال رائع يُبدأ من ليل العيد حتى الصباح، فهناك قراءة التكبير والتحميد على الله تعالى في مساجدهم ومصلياتهم حتى الصباح ؛ وبعض الشباب يتجوّلون ويطوفون حول المدينة بالسيارة أو الدرجة النارية ومعهم مكبّر الصوت لقراءة التكبير والتحميد والتهليل. ففي الصباح يلبس الإندونيسيون والإندونيسيات الجديد ويتطيبون عند الذهاب إلى المسجد لأداء صلاة العيد جماعة، وبعد انتهاء الخطبة هم يتصافحون ويقدمون التحية والتهنئة

---

[53] البخاري، صحيح البخاري، باب: الأكل يوم الفطر قبل الخروج، ج. 2، ص. 17

[54] الترمذي، سنن الترمذي، باب: ما جاء في الفطر متى يكون، ج. 3، ص. 156

[55] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 196

[56] محمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 36-38

فيما بينهم. وبعد صلاة العيد هم يجتمعون مع العائلة؛ فالأبناء يطلبون الدعاء والعفو من أبويهم أوّلا، فهذه العادة تسمى بـ "سوعكمان" sungkeman أي تخضيع الابن بدَنه وظهْره للأبوين تكريما وتبجيلا لهما، ثم يتزاورون ويتطالبون العفو والصفح الجميل على أخطاء ومغلطات قد حدثت فيما بينهم طيلة سنة ماضية، فهذه العادة تسمى بـ "الحلال بالحلال" أي طلب الحلال بإعطاء الحلال أو جزاء الحلال بالحلال. من دون إغفال أن تكون الحلويات المتنوعة والمشروبات المتعددة من لوازم عيد الفطر؛ أما الطعام الخاص والمعروف لعيد الفطر فهو ما يسمى بـ "أوفور" Opor أي لحوم الدجاج المطبوحة بالمواد الطبيعية، مع العلم أن لكل مدينة أو جزيرة طعامه الخاص في عيد الفطر. ومن الطبيعي أن يكون صاحب البيت يعدّ هذه الحلويات والمشروبات وواجبة الغداء لضيوفهم الذين يأتون إلى بيته ويطلبون "الحلال" منه؛ والشباب يأتون إلى بيوت الشيوخ، وكما أن الأصغر يطلب "الحلال" من الأكبر. وأما الأطفال فيستحق لهم الفلوس المعروف باسم "أعبو" angpao" أو "ساعو"sangu "؛ ومن صام منهم رمضان كاملا فله مبلغ أكثر من غيره تشجيعا وتفريحا لهم.

فالمسلمون في شتى البلدان يتفقون على أن لعيد الفطر نشر الفرح والسرور، ذلك من أجل اتباع السنة النبوية، ولكنهم يختلفون في كيفية تعبير ذلك الفرح والسرور على سطح الواقع بسبب ثقافاتهم المتنوعة، وكل واحد يعبّر الفرح انطلاقا من ثقافة بني جلدته. والعجيب هنا أن الخلاف بين تونسيا وإندونيسيا يكاد أن يكون صِفرا.

الخامس: احتفالهم بعيد الأضحى

شرعت الأضحية في السنة الثانية من الهجرة النبوية إلى المدينة،[57] في حين قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾،[58] وكما جاء في السنة النبوية أن النبي ﷺ ضحّى بكبشين أملحين أقرنين[59] ذبحهما بيده وسمّى وكبّر ووضع رجله على صفحة العنق منها.[60] فهي عبارة عن طقس يستحضر فيه المقدّس لغويا وتعلن من خلاله العبودية بالمفهوم الديني ومن خلالها ينشأ مجال اتصال مع الله تعالى.

ففي الجانب اللغوي يقال: "ضحّى فلان غنمه أي رعاها بالضحا. ويقال أيضا: ضحّى بشاة من الأضحية، وهي شاة تذبح يوم الأضحى. وفيها أربعة لغات إِضحيّة وأُضحيّة والجمع أضاحي،

---

[57] قال ابن الأثير (م 630 هـ) : "وفي السنة الثانية كانت غزوة بدر العظمى في شهر رمضان... وفيها ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وخرج بالناس إلى المصلى، وذبح بيده شاتين، وقيل شاة". انظر إلى: أسد الغابة، لعز الدين بن الأثير، (بيروت: دار الفكر، 1409 هـ)، ج. 1، ص. 29

[58] سورة الكوثر آية 1 - 3

[59] الأملح هنا يعني الأبيض الخالص أو الذي بياضه أكثر من سواده، أما الأقران فهو الذي له قرنان معتدلان متساويان.

[60] البخاري، صحيح البخاري، باب: من ذبح الأضاحي بيده، ج. 7، ص. 101

وضحِيّة والجمع ضحايا، وأضْحاة والجمع أضحى، وبها سمّي يوم الأضحى.[61] ومما سبق، يستخلص أن حيوان الأضحية هو ما يقرب لله تعالى ويذكر عليه اسمه وفق طقوس خاصة في زمن استثنائي.

لقد وافق المسلمون على أن عيد الأضحى يقع في اليوم العاشر من ذي الحجة، وما بعده يسمى بأيام التشريق، وذلك في كل سنة. وكذلك اشتهر هذا اليوم المبارك بيوم الفداء والحب نظرا إلى عملية ذبح الحيونات وتوزيع لحومها بين المسلمين، كما أنه أيضا يوم التضامن واتحاد القلوب إذ يجتمع فيه مئات الآلاف من المسلمين برحاب مكة يلبّون ويسبّحون ويحمدون الله تعالى ويتضرعون إليه بالدعاء والاستغفار.

هكذا، اعتبر أهل تونس ذلك اليوم "أعظم مواسم المسلمين جميعا"،[62] حيث إنهم يحتفلون فيه احتفالا عظيما. وقال محمد بن عثمان الحشايشي عن أهل تونس: "فأول ما نبدأ بالعمل في هذا اليوم، أن يخرج الإنسان من منزله إلى الجامع (المسجد)، فيصلي، ثم يرجع، فينحر، وفي مذهبنا (المالكي): أن النحر واجب يعنى وجوب السنن المؤكدة".[63] وأما المآكل المعدَّة من لدن أهل تونس فهي الحلويات والكعك بأصنافه، والطعامَين الخاصين لهذه المناسبة؛ هما: "الباضج" وهو طعام من السميد المعجون بالسمن ووسطه لحم مفروم، والأخر يسمى بـ"المرقاز" وهو لحم مفروم مخلّط بالليَّة والكبد يحشون به المصارين. وكل ذلك يهيّئونه للأقارب في وقت المعايدة.[64] ويدوم العيد أربعة أيام، تغلق فيه جميع الأسواق والمكاتب والإدارات والمؤسسات التعليمية والوزارات، ويتزين الناس فيه بالملابس الجديدة، ويفرح فيه الصبيان ويدفع لهم أولياؤهم وأقاربهم شيئا من الدنانير يقال له "المهبة" وفي لهجة أهل العاصمة هي الهبة، ويخرج الناس إلى التنزَّه في أحواز تونس، وتدوم المعايدة أربعة أيام.[65]

أما أهل إندونيسيا في صباح عيد الأضحى فيذهبون إلى المسجد لأداء صلاة العيد جماعة، ويلبسون لباسا عاديا مع التطيب، وبعد سماع الخطبة فيتصافحون ويتبادلون التهاني والدعاء، ثم يرجعون إلى بيوتهم. ويذبحون الغنم أو الكبش والبقر أو الجاموس، ويتصدقون لحومها نيّئا، ولكن بعضهم يجعل تلك اللحوم مشوية ومحروقة بالفخرة وتسمى هذه الأكلة بـ "ساتى" sate، وأضيفت فيها المواد الطبيعية لزيادة اللذة، ويتغدون بها جماعة. وهكذا فقط عوائد الإندونيسيين في عيد الأضحى. ولو تقام المقارنة بين عيد الأضحى في إندونيسيا وعيد الأضحى في تونس؛ أيُّهما أكثر مرحا ومثيرا احتفاليا فالجواب هو تونس، ويسمي أهل تونس عيد الأضحى بالعيد الأكبر.

---

[61] ابو ناصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب: ضحا، تحقيق: محمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم، 1407 ه)، ج. 6، ص. 2407

[62] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 195

[63] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 195

[64] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 196

[65] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 196

السادس: احتفالهم بذكرى مولد النبي الشريف

لقد قال الله تعالى واصفا لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾،[66] حيث وصف النبي ﷺ نفسه قائلا: إنما أنا رحمة مهداة"،[67] فيُستدل من ذلك أنه ﷺ هو الرحمة العظمى للعالمين كلهم، وكان الله تعالى يأمر المسلمين بأن يفرحوا ويسروا على مجيء "الرحمة" إليهم، قائلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا...﴾،[68] لذلك يكون الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ عملا لهذه النصوص المقدسة. كما يقاس هذا الاحتفال على قصة عيسى ابن مريم في القرءان ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[69] من خلال أن المائدة السماوية التي نزلت إلى الأرض يعتبرها الأوائل والأواخر عيدا يحتفلون فيه إظهارا لسرورهم وفرحهم، فبالأولى أن يكون النبي ﷺ المبعوث إلى الأرض وهو الرحمة العظمى مذكورا اسمه ومجده وسيرته في مناسبة معينة يحتفل فيها أمته جميعهم مظهرين محبّتهم له وسرورهم وشكرهم لله تعالى، لأنه ﷺ هو المسبب الأساسي لأنوار الهدية في العالم بأسره إلى يوم القيامة.

فتبين من ذلك كله أن الاحتفال بذكرى المولد الشريف ﷺ سنة حسنة حيث يتحمل ذلك معنى ومغزى قوله ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء".[70] ولا شك أن هذا الاحتفال يحمل الفرصة الجيدة للقاء المسلمين على خير وسماع الأناشيد المرققة للقلوب، وإن لم يكن الاجتماع في المولد الشريف إلا بركة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأله وصحبه رضي الله عنهم لكفى.

في التاريخ العربي أن أول من أظهر الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ هو الملك المظفر ابو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين (م 533 ه)، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا.[71] وقد ذكر المؤرخ الكبير شمس الدين الذهبي (م 748 ه) ترجمته في كتابه الشهير سير أعلام النبلاء، قائلا عنه: "كان متواضعا خيّرا سُنّيا يحب الفقهاء والمحدثين."[72] واشتهر أنه صاحب إربل من أعمال الموصل على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي.[73]

---

[66] سورة الأنبياء آية 107

[67] الحاكم، المستدرك على الصحيحين، باب: حديث معمر، ج. 1، ص. 91

[68] سورة يونس آية 58

[69] سورة المائدة آية 114

[70] مسلم، صحيح مسلم، باب: من سن سنة حسنة، ج. 4، ص. 259

[71] ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408 ه)، ج. 13، ص. 159

[72] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد الأرنؤوط واخوته، (دن: مؤسسة الرسالة، 1405 ه)، ج. 22، ص. 334

[73] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونيسية، ص. 355

كما روي أن أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا كبيرا بتونس هو بنو ابي حفص أولهم ابو فارس عبد العزيز (م 837 ه). وكان هو وجماعته يعظمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول ويزينون المكاتب وينشدون الأبيات الشعرية التي اشتملت صلوات وتسليمات ومدائح لرسول الله ﷺ وآله وأصحابه، وتُوقد القناديل، وتسرج الشموع، وتكون تلك الليلة أشهر ليالي سنتهم.[74] وكان الأجلة من الناس والقراء والفقهاء من أطراف البلاد يحضرون في تلك الليلة، حيث من أجل ذلك قد يهرعون بدار نقيب الأشراف للتفرج والمبيت، حتى يقال إن ذلك عملي رسمي يحبه الناس قاطبة. خلافا على ذلك، ذكر محمد ابن عثمان الحشايشي أن الاحتفال الرسمي بالمولد الشريف لم يكن موجودا "إلا في سنة 1257 هجرية الموافق بسنة 1842 ملادية على عهد المشير أحمد باشا".[75] وعلى أي حال، كان المولد يُحدث بعد القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية، ووصل إلى تونس واستحسن علماؤها بالعمل بذكرى المولد النبوي الشريف، فهم لا يزالون على ذلك حتى اليوم هذا.

من عوائد أهل تونس في الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ الإتيان إلى المسجد الجامع حيث يجتمع فيه المشايخ أهل المجلس والعلماء والأعلام والأشراف، ويتلون القرءان المجيد، ويسرد الإمام الأعظم قصة المولد النبوي الشريف؛ سواء كانت رواية سيدي الشيخ ابراهيم الرياحي أو سيدي الشيخ البرزنجي.[76] كما تُقرأ فيه أيضا دلائلُ الخيرات للشيخ سليمان الجزولي وأحزاب الشيخ ابي الحسن الشاذلي. وتكون هذه القراءة والمطالعة لكثيرة في عدد من الزوايا مثل زاوية عبد الله بن ابي زيد وزوية سيدي عبيد الغرياني وزاوية سعيد الوحيشي وغيرها، كما تقرأ تلك في المدارس والكتاتيب، مع العلم أن القراءة قد تمتد إلى قرب الفجر.[77]

أضف إلى ذلك أن أهل تونس يشتغلون بتنوير الجوامع والمدارس والأسواق بأنواع المصابح والشمع، وقد يأتي أميرهم أو واليهم مع حاشيته في الملابس الرسمية متجها إلى الجامع الأعظم لاستماع سيرة الرسول ﷺ وعظمة أخلاقه. كما أنهم يحضِرون الطعام الكبير المسمى بـ "العصيدة"، وهي طعام من السميد يجعل فوقه السمن والعسل والسكّر، وهذا لا يأكلونه إلا خارج المسجد الجامع أو في إحدى بيوتهم المتسعة. ثم ما بين العشاء والمغرب هم يستعملون آلات الموسيقى العسكرية والأخرون يتمتعون بذلك.[78] من دون إغفال أنهم يقترنون ذلك العمل كله بالصدقات والتوسع على العيال.[79]

---

[74] محمد الطوبلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 18
[75] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 355
[76] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 355
[77] محمد الطوبلي، المواسم والأعياد بتونس، ص. 26 - 27
[78] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 198
[79] محمد بن عثمان الحشايشي، العادات والتقاليد التونسية، ص. 355

وكذلك في إندونيسيا، يحتفل المسلمون بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث إنهم في هذه المناسبة يعمّرون مساجدهم بتلاوة القرءان وقراءة الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وإنشاد المدائح النبوية بضرب الدفوف ويقدّمون السيرة النبوية المشرفة إلى مسامع الناس، وذلك برواية البرزنجي والبوصيري والدباغي وغيرهم. مع العلم أنهم قد يعملونها في صميم برنامج المحاضرة الدينية العامة التي تنسق في ساحة قصر الولاية أو ملعب كرة القدم على الساعة الثامنة ليلا أو الساعة الثانية نهارا، حيث يجمع فيه الشرفاء والحبائب والأمراء والعوام، وهم يجلسون معا ويرفعون أصواتهم في قراءة الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم والذكر الجماعي ويسمعون المواعظ الدينية من لدن مشايخهم، وقد يكون من خلال ذلك هدايا مفاجئة تسمى بـ door prize . وليس في هذه المناسبة طعام تقليدي خاص "شبه مقدَّس" يعدّ للحاضرين المشاركين، بل هناك أطعمة كبيرة ومتنوعة والشاي والقهوة والمشروبات الغازية ليأكلوها جماعة، وقبل مغادرتهم من هذا المجلس المبارك تُوزّع الصناديق الغدائية التي يأخذونها معهم لأهل بيوتهم.

فالنقطة الموحدة التي لا بد من الأخذ بعين الاعتبار هي أن هذه المناسبة تشجّع وتقوّي محبة الأمة الى نبيهم ﷺ واتباعهم لأخلاقه الرقية وأتم شكرهم لله تعالى على نعمة الإيمان والإسلام. ويعرّف فيها الأباء أبناءهم بشخصية الرسول ﷺ وجهوده في نشر هداية الإسلام للعالمين، ويستنبطون منها العِبر والدروس المهمة لسيكولوجية الأبناء وآمالهم في المستقبل. أضف إلى ذلك أن قراءة الصلوات على النبي ﷺ جماعة تتحمل ثقافة الغناء وضرب الدفوف وآلات الموسيقى التي تحيي القلوب وتسرّها.

والحمد لله

المصادر والمراجع

مصحف القرءان الكريم برواية حفص بن سليمان الأسدي الكوفي

ابن الأثير، عز الدين، أسد الغابة، (بيروت: دار الفكر، 1409 ه)

ابن الخوجة، محمد، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، (تونس: دار الغرب الإسلامي، 1986م).

ابن المنظور، جمال الدين، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1414 ه).

ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار الفكر، 1408 ه).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب: دين، (دن: اتحاد الكتاب العربي، 1423ه/2002م).

ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408 ه).

ابن نبئ، مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1420ه/2000م)، ط. 4

البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله، صحيح البخاري، تحقيق: محمد الزهير بن ناصر، (دن: دار طوق النجاة، 1422 ه).

البدوي، محمد، القيروان بأقلام الشعراء، (تونس: دار لابريس، 2009 م)، ط. 1.

برابيتنو، نظرية أساسية وتطبيقية للتربية (Dasar Teori dan Praksis Pendidikan)، (جاكرتا: جراسيندو، 2009 م).

بوسبوواردويو، سوريانتو، استراتيجية الثقافة؛ مقاربة فلسفية (Strategi Budaya: Sebuah Pendekatan Filosofis)، (جاكرتا: مطبعة جراميديديا، 1989 م).

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وأخوته، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395ه).

التهانوي، محمد بن على الفاروقي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996 م)، ط. 1.

ج و باكر، فلسفة الثقافة؛ مدخل تمهيدي (Filsafat Kebudayaan: Sebuah Pengantar)، (يوكياكرتا: مطبعة كانيسيوي، 1992 م).

الحسن، عبد العزيز بن حمد، مختصر تاريخ البلاد التونسية، (تونس: دار الفاتحين، 2013 م).

الحشايشي، محمد بن عثمان، العادات والتقاليد التونسية، (تونس: سراس للنشر، 1994 م).

الحصني، تقي الدين، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي، (دمشق: دار الخير، 1994 م).

الخنيزي، جهاد بن عبد الإله ، جدل الدين والثقافة والاجتماع؛ المجتمع السعودي نموجا، (بيروت: الانشار العربي، 2009م)، ط. 1.
دراز، محمد عبد الله ، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م).
الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد الأرنؤوط واخوته، (دن: مؤسسة الرسالة، 1405 ه).
الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (دن: دار الهداية، دة).
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دة).
السجستاني، ابوداود سليمان بن الأشغث، سنن ابي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، دة).
السواح، فراس، دين الإنسان؛ بحث في ماهية الدين ومنشاء الدافع الديني، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2002 م)، ط. 2.
الطويلي، محمد، المواسم والأعياد بتونس، (تونس: مطبعة أسود على أبيض، 1997م).
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي واخوته، (بيروت: دار المعرفة، 1379 ه).
العلواني، رقبة طه جابر، أثر العرف في فهم النصوص ، (بيروت: دار الفكر، 2003م)
الفارابي، ابو ناصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم، 1407 ه)
القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، (بيروت: دار المتب العلمية، 2004م/1425ه)، ط. 1.
الماجي، الأزهر، الثورة التونسية، (تونس: المغاربية للطباعة، 2011 م)، ط. 1.
مشرفة، ريستياني، ختان النساء بين الثقافي والديني (Khitan Perempuan Antara Tradisi dan Ajaran Agama)، (جوكجاكرتا – إندونيسيا: مركز دراسة القضايا التربوية والحكومية جامعة جاجاة مادا بالتعاون مع شركة فوند فوداتسين الأمريكية، 2003 م).
المقدسي، محمد بن مفلح، الأداب الشرعية والمنح المرعية، (دن: عالم الكتاب، دة).
النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411 ه).
النيسابوري، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، دة).